

التراث العربي

مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد: (104) - (نو الحجة) - 1427 هـ = (كانون الأول) 2006م - السنة السادسة والعشرون

رئيس التحرير
د. محمود الربداوي

المدير المسؤول
د. حسين جمعة

مدير التحرير:
فايدة غيور

هيئة التحرير:

د. شوقي أبو خليل

د. علي أبو زيد

د. وهبة الزحيلي

د. عبد اللطيف عمران

د. نبيل أبو عمشة

د. أحمد الحصري

د. وليد مشوح

هاتف: (0117244)

اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي، دمشق - ص ب (3230)

E-mail: unecriv@net.sy
aru@net.sy

البريد الإلكتروني

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت:
www.awu-dam.org

كتابخانه و مركز اطلاع رسانی
بنیاد و اداره المعارف اسلامی

المحتوى:

ص

- ↑ / فنذكر ... قد تنفع الذكرى في العام الجديد.....
- 7 رئيس التحرير
- ↑ أحرف الراء دراسة صوتية مقارنة.....
- 9 د. عمر الدقاق
- ↑ إشكالية المصطلح النقدي.....
- 49 ميلود منقور
- ↑ دخول بعض الصفات على بعض من خلال كتاب الإبانة في اللغة للصّحاري.....
- 57 د. سكينه محمود الموعد
- ↑ مقتطفات من حياة الشاعر مجنون بني عامر.....
- 81 د. أحمد محمود حصري
- ↑ (حتى) في شعر ذي الرمة.....
- 84 د. شوقي المعري
- ↑ شعراء وذئاب.....
- 111 د. ثائر زين الدين
- ↑ تجربتي مع التحقيق.....
- 141 د. علي موسى الشوملي
- ↑ العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي وكتابه تعطير الأنام في تعبير المنام.....
- 149 محمود الأرناؤوط
- ↑ التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة..
- 167 د. مازن الوعر

↑ جلب ما قيل فيها وما كتب عنها

مختار فوزي النعال 201

↑ شاعر من الأدب العربي في العهد العثماني في القرن السابع عشر: ابن معصوم

محمد مسعود أركين 211

↑ الفارابي بين أفلاطون وأفلوطين

د. عدنان أبو عمشة 243

↑ البنية الفنية للسيرة الشعبية العربية

أ. صالح جديد 271

↑ العلامة محمد بن أبي شنب أول دكتور جزائري في الوطن العربي

مأمون الجنان 283

↑ المعالم التاريخية في الوطن العربي وسائل حمايتها وصيانتها وترميمها

د. شوقي شعث 292

↑ مؤلفات أبي عبيد الله المرزباني

د. شعيب مغنونيف 322

↑ الجمالية اللغوية في كتابات الدكتور إحسان عباس ومؤلفاته

د. ماجد أبو ماضي 335

↑ أخبار التراث ابن خلدون شخصية 2006 م

أ. فادية غيبور 347



مركز بحوث ودراسات في اللغة والأدب العربي



(حتى) في شعر ذي الرمة

د. شوقي المعري^(١)

مقدمة:

يعدُّ ذو الرمة (ت ١١٧ هـ) من الشعراء الكبار الذين عاشوا في العصر الأموي، العصر الذي برز فيه عدد من الشعراء مثل جرير، والأخطل، والفرزدق الذين سرقوا الأضواء وتميزوا أكثر من غيرهم، بل إنَّ غيرهم لم يُذكر إلا قليلاً، لكن هذا لم يمنع أن يظهر اسم ذي الرمة الذي بلغ مكانة عند الخلفاء والأمراء متميزة، وكذا عند العامة من الناس، والعلماء حتى الشعراء أنفسهم الذين عاشوا في عصره والذين عدّوه فوضعه في المرتبة الثانية من طبقات الشعراء الكبار.

قليل قديماً: إنَّ شعراً ذي الرمة هو ثلث لغة العرب، من هنا كانت لشعره مكانة علمية كبيرة، بدت في كثرة الاستشهاد بالغريب من شعره، وهذا ما يبدو جيداً في معاجم اللغة كلها، بل إنه لا يكاد يخلو كتاب من مصنفات اللغة من شعره بدءاً من كتاب سيبويه، وانتهاءً بخرانة الأدب للبغداد، وقد أجرى محقق ديوان ذي الرمة عملية إحصائية تقريبية لهذه الشواهد في مقدمة ديوانه المتميّز مع التحقيق.

لقد شاع شعراً ذي الرمة بين الناس كما بين الكتب والمعاجم وفاخر كثيرون بأنهم يحفظون كثيراً منه معجبين بناحيته اللغوية والفنية معاً مع صعوبته، واستمر هذا الاهتمام إلى عصور لاحقة بدا في شعراً بعض الشعراء كأبي تمام والمعرّي وغيرهما، وقد ضمّنوا في هذا الشعر اسم الشاعر.

وإذا أردنا التخصيص أكثر، وتناولنا المصنفات النحوية التي بين أيدينا فإننا نلاحظ — بلا شك — أنَّ هذه المصنفات لا تخلو من شواهد من شعراً ذي الرمة، وقد كانت نسبة هذه الأبيات عالية أو

(١) باحث جامعي سوري

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

مرتفعة بالنسبة إلى غيره من الشعراء، وهذا دليل آخر على أهمية شعر شاعرنا ذي الرمة، وكذلك كانت نسبة شواهد في أي مصنف نحوي عالية، وشملت غير بحث من الأبحاث النحوية.

قد تكون المصادفة هي التي فرضت كتابة هذا البحث، وهذه الدراسة المتخصصة جداً، ولاشك أنها ستثير سؤالاً واحداً هو: هل تستحق أداة نحوية واحدة دراسة، بل هل تستحق "حتى" دراسة خاصة في شعر شاعر واحد ويقول أحداً: قد تصلح الدراسة إذا كانت عند مجموعة من الشعراء!!

ثم يقفز إلى الذاكرة تعليق أو عبارة ما زال كثيرون يرددونها هي أن الفراء قال: "أموت وفي نفسي شيء من حتى" ... إلى غير ذلك من الأسئلة المشروعة؟ ربما لأننا اعتدنا الدراسات العامة الواسعة، ولم نعتد الدراسات المتخصصة جداً أستطيع الإجابة عن كل هذه الأسئلة وغيرها، فأقول:

أ — إن المصادفة وحدها هي التي فرضت عليّ كتابة هذه الدراسة فقد كنت أقرأ في ديوان الشاعر ذي الرمة، ولم أكن أبالي بـ "حتى" ولا شواهدا، ولم تطل عدم المبالاة كثيراً، إذ وجدتني أقف وأراجع القراءة من بداية الديوان لما وجدت أن ثمة أبياتاً من الشعر كثيرة "ضمّنها الشاعر حتى"، فترددت قليلاً في جمعها ودوّنت بعض الملاحظات، والإشارات والعبارات، وتابعت القراءة، لكن رأيتني مرة ثانية أعود إلى القراءة الثالثة لكن المتأنية في جمع تلك الأبيات، ولاسيما أنني وجدت أشعاراً فيها استعمال "حتى" غير ما اعتدنا قراءته واستعماله عند الشعراء الآخرين، يضاف إليها وفرة الأبيات، بل إن بعضها كان في أبيات متتالية، كأن يستعملها في ثلاثة أبيات متتالية، وقد عطف عليها، إلى غير ذلك مما لفت النظر بوضوح لكثرة مثل "حتى، كأنما" كثيراً في آخر الشطر الأول، واستعمال "حتى" إذا في بداية البيت... كل هذا جعلني أف على هذه الأداة، وأعيد ترتيب الأبيات بحسب أنواع "حتى" وهذا ما كان.

ب — وفيما تقدّم إجابة عن السؤال التالي: هل تستحق "حتى" بحثاً مستقلاً في شعر شاعر واحد؟ والجواب كما تقدم نعم، لقد ورد في شعر ذي الرمة (١٥٧) بيتاً من الشعر فيه "حتى" وهذا عدد كبير نسبياً ويعدّ مادة علمية للدراسة، وهذا ما تفتقده الدراسات الحديثة المعاصرة، أقصد التخصص في الموضوعات، والتخصص صار واجباً في كل العلوم، وأظن أن فائدة بل فوائد يجنيها القارئ والباحث معاً، لأنه كثيراً ما يؤخذ علينا في دراساتنا الحجم والتوسع الذي يرهق بلا فائدة...

ج — أما ما يردّه الكثيرون من أن "حتى" فيها من الصعوبة ما فيها، جعلت الفراء يقول كلمته المشهورة الذائعة الصيت، فإنه غير الواقع، لأن عبارة طارت شهرتها، كثيرون كما يتلقفون الأمثال والحكمة والأحكام النقدية المتطرفة والطريفة فثبتت في مصنفات القدماء، وتعلق بها كثيرون، بل صارت هذه العبارة شاهداً في كل مرة يعبر فيها المعرب — ومنه الطالب — كلما صعبت عليه "حتى" في الإعراب علماً بأن لـ (حتى) ثلاثة أوجه من الإعراب:

أ — حرف ابتداء. ب — حرف جر. ج — حرف عطف

ولو حاول الواحد منا اختصار هذه الوجوه الثلاثة لقرأ جملة واحدة أثبتتها القدماء هي: أكلت السمكة حتى رأسها.

فإذا ضبطت رأسها بالضم فـ (حتى) حرف ابتداء.

وإذا ضبطت رأسها بالنصب فـ (حتى) حرف عطف، وتعرف بأن يكون ما بعد حتى جزءاً مما قبلها.

وإذا ضبطت رأسها بالجر فـ (حتى) حرف جر وتكون بمعنى (إلى).

ولو تابعنا قراءة القواعد لوجدنا أنّ أحكام "حتى" واضحة تعتمد القرينة الملموسة والمعروف أنّ الدليل الحسيّ يقرب الإعراب أكثر ويعطي فائدة كبيرة للمعرب.

نضيف إلى ذلك — واستناداً إلى ما تقدم — أنّ "حتى" حرف الابتداء تؤذن ببداية الجملة، وكثيراً ما كان يليها قرينة حسيّة أخرى تساعد المعرب، مثل "كأن"، و"إذا". وإن... وأنّ "حتى" حرف عطف قليل الاستعمال، ولو وردت عرفت أنّ ما بعدها — كما تقدم — يكون جزءاً مما قبلها، وأنّ "حتى" حرف جر تكون بمعنى إلى إذا وليها الاسم. أما التي تنصب المضارع فهي المؤلفة من (إلى) و(أن) فتتنصب المضارع وتجر المصدر المؤول... وهذه ليست بصعوبة على المعرب... فلم يبق مما يُشكل على المعرب إلا (حتى) إذا وليها الفعل الماضي ولأنّ ثمة خلافاً في إعرابها، فبعضهم يعربها حرف ابتداء، وبعضهم يتبع ابن مالك في إعرابها حرف غاية وجر وتكون بمعنى إلى أنّ، وهذا واضح في كثير من الأشعار، وما من شك في أنّ المعنى هو الذي يحدّد وجه الإعراب، أي إعراب آخر، لأنّ الإعراب يقوم دائماً على المعنى.

إنّ كل ما تقدم سيجده القارئ في ثنايا هذا البحث لأنها قواعد عامّة لم يخرج عليها ذو الرمة في كل أشعاره.

لقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم أو يوزع بحسب نوع الأداة "حتى". فلم يمرّ معي شاهد واحد فيه حرف جر وليها اسم، أو شاهد واحد فيه (حتى) حرف عطف، أما ما مرّ معي فهو بحسب ما ورد البحث:

١ — حتى حرف ابتداء وليها جملة اسمية.

٢ — حتى حرف ابتداء وليها (إذا).

٣ — حتى حرف ابتداء وليها (كأنّ — كأن — كأن).

٤ — حتى حرف ابتداء وليها المضارع.

٥ — حتى حرف ابتداء وليها الماضي.

أما منهج الدراسة فكان:

١ — قدّمت للأداة بأسطر قليلة جداً تذكّر بالقاعدة.

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

٢ — عرضت الأبيات الشعرية بحسب ورودها في الديوان إلا بعض الأبيات التي كانت تتصل اتصالاً وثيقاً بقريناتها، وهي قليلة جداً وأثبت قبل البيت كلمة قال وذكرت الصفحة والجزء، كي لا تكون الحواشي التي تزيد من الصفحات، وتكون واحدة مكرورة أدت الفائدة في المتن.

٣ — علّقت على بعض الأبيات إما بشرح المفردات الصعبة، أو بشرح البيت، أو أن أقدم للبيت الشاهد ليفهم المعنى، ولا سيما الشواهد التي اتصلت بما سبقها بالمعنى كيلا أثبت عدداً كبيراً من الأبيات الأخرى.

٤ — قصدت إلى القاعدة النحوية في الشاهد الشعري للتوضيح، أو لتثبيت القاعدة، ولا سيما ما كان في (حتى) عندما وليها الفعل الماضي التي كان — كما تقدّم — فيها خلاف، واستندت في ذلك إلى المعنى...

٥ — أثبت بعض الأحكام والنتائج في نهاية الفقرات، أو في خلالها أثناء القراءة، والقاعدة: كانت هي المقدمات للنتائج العامة، والخلاصة التي وصلت إليها، وأثبتتها في نهاية الدراسة.

٦ — اعتمدت نسخة الديوان التي حققها د. عبد القدوس أبو صالح — ط ٣ — ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة.

٧ — خلت الدراسة من المصادر والمراجع، وذلك لطبيعة الدراسة التي قامت أصلاً على قراءة الشعر نفسه ومحاكمته على مستوى الأداة حتى، ولا أظن أن مثل هذه الدراسات تعتمد المصادر والمراجع، ولو كانت تلك التي تتصل بالأداة نفسها، لأنّ الدراسة ليست فيها، وحدودها معروفة، وليس من دراسة تتصل بهذه، وإلا لما كانت، وما أرجوه أن يجد القارئ فائدة وجدتها كما وجدت الفائدة.

أولاً حتى: حرف ابتداء وليها الجملة الاسمية:

هي التي تدخل على الجملة الاسمية، والتي لا خلاف فيها بين العلماء لأنها تؤذن ببداية الجملة، ويلاحظ أنّ الشواهد التي يُستشهد بها عن هذه الحال قليلة جداً تكاد تتكرر في كل المصنفات، ولا تتجاوز الخمسة، وهذا ما يجعلنا نعجب من ورودها بهذا العدد عند شاعر واحد ويجعلنا نسأل مرة أخرى: لو قرئ الشعر العربي كلّ لما كان عندنا ما نحن نحافظ عليه فقط، إنما هناك أمور كثيرة كالشواهد والقواعد يمكن أن تضاف إلى مصنفاتنا وقواعدنا النحوية.

صحيح أن حروف الابتداء أو الاستئناف عديدة كالواو والفاء وثمّ ولام الابتداء. لكنّ حتى حرف ابتداء تختلف اختلافاً كبيراً عمّا ترد فيه تلك الحروف، فتلك تستطيع حذفها من دون أن يتأثر المعنى كثيراً لأنّ الجملة تظل على معناها، لكننا إذا حاولنا أن نقرأ الأبيات التي فيها "حتى" حرف ابتداء، فإننا نلاحظ أنّ لها أثراً كبيراً في المعنى، وكأنّها لا تزال تربط الكلام بما تقدّمه، قال ذو الرمة (٤٤/١):

١ — لا تُشكى سقطة منها وقد رقصت بها المفاوز، حتى ظهرها حذب

فهو يتكلم على الناقاة التي لا يقال فيها ما يُكره من السقطات والعثرات، وقد بان عليها عدم الطمأنينة، لأنّ المفاوز ترقص بها، حتى إنها صارت حذاء الظهور، فالتعب أو الحذب إنما من الهزال الذي أصابها في تلك المفاوز ومثله قوله (٤٤٢/١):

٢ — حتى إذا لم تجد وعداً ونججها
مخافة الرمي حتى كلّها هيمٌ
ظلت...

فهو يصف الحُمُر التي إذا لم تجد مؤنلاً من العطش حرّكها الإبل مخافة أن ترمى عند الشرائع (موارد الماء) لتشرب، وهي كلّها عطشى، فإننا نشعر أنّ "حتى" في هذا البيت تشبه الواو التي للحال والاعتراض، وظل فيها ما يدل على استمرار الكلام، والدليل الضمير في كلّها...
وقوله (٥٩٠/١):

٣ — نصي الليل بالأيام حتى صلاتنا
مقاسمة يشفق أنصافها السفرُ
نصي: أي نواصل، فواضح أنّ "حتى" وإن وليها الجملة الاسمية فهي بمعنى الاستمرار ولأنّ المسافرين يصلي ركعتين...
وقوله (٦٣٩/٢):

٤ — يُقدّمها للموت حتى لبانها
من الطعن نضاح الحديّات أحمرُ
يقول: إنّ أباه يقترح فرسه أول الخيل للموت، فكيف يكون الابتداء ودماء الفرس تنضح من الطعن... لاشك في أن معنى (حتى) هو الاستمرار، ولو وليتها الجملة الاسمية.
وليس ببعيد عن هذا المعنى قوله (١١٢٢/٢):

٥ — تحمّلن من قاع القرينة بعد ما
تصيفن حتى ما عن العدّ حابسُ
يتحدّث الشاعر عن الطعن اللواتي لم يبق شيء يحبسها عن الماء، فقد كنّ يسرن في أماكن حتى وصلن إلى هذه الحال، فالمعنى فيه استمرار، ولكن الملاحظ وهذه من الحالات النادرة، أن يلي (حتى) جملة اسمية تقدم فيها الخبر على المبتدأ ومثله قوله (٩٣/١):

٦ — أغباش ليل تمام كان طارقه
وبالمقابل فإن ثمة بيتاً بدأ فيه ذو الرمة بـ "حتى" ووليها الجملة الاسمية، قال (١٧٩/١-١٨٠):

٧ — حتى نساء تميم، وهي نائية
بقلة الحزن فالضمّان فالعقد
لو يستطعن إذا نابتك مجففة
فدينك الموت بالآباء والولد

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

هذان البيتان من قصيدة يمدح فيها هلال بن أخوز التميمي، الذي يقول فيه قبل البيتين السابقين:
رفعت مجدّ تميم — يا هلال — لها رفَع الطرف إلى العلياء بالعمَد
فهو — إذن — يمدحه، وقد تقدم هذا البيت أبياتٌ كثيرة... ولما وصل إلى هذا البيت بهذا المَدح الذي فاق ما تقدمه، انتقل إلى شيء مهم أراد أن يقوله، وهو البيت (حتى نساء)... إذ لا نستطيع أن نستبدل بـ(حتى) حرفاً آخر للابتداء أو أن نستبدل به (إنّ) وإن كان يؤدّي المعنى، ولكن يؤدّي المعنى لو لم يكن ما قبله معروفاً، ولكنّ لما عرفنا ما تقدمه وصلنا إلى أنّ (حتى) حرف ابتداء وليه جملة اسمية لكنه يتصل بالبيت السابق اتصالاً وثيقاً، فهو لاء النسوة وهي نازحة نائية في تلك المواضع لو يستطعن فدّيته بالآباء والولد وبما يملكون.

لقد تبين أنّ حتى في الشواهد السابقة كان لها دورٌ كبير في تقوية المعنى وتأكيده.
وكان لـ(حتى) أثراً كبيراً في الجملة التي ترد فيها، ولا نستطيع أن نستبدل بها أي أداة أخرى وإن كانت بمعناها كما يحدث في غيرها من الأدوات، فكثيراً ما حل حرف نفي محل آخر وحرف جر مكان آخر، وحرف نداء محل آخر، وحرف ابتداء إذ إنّنا كثيراً ما استبدلنا بالفاء الواو أو العكس، لكننا شعرنا أننا لا نستطيع أن نستبدل بـ(حتى) حرفاً آخر، فهو ظلّ محافظاً على معناه، وظل فيه ربطٌ بين ما يليه وما تقدمه، ولو كان حرف ابتداء.

ثانياً. حتى إذا:

١ — ليس من خلاف في أنّ (حتى) حرف ابتداء إذا وليها الأداة (إذا)، لأنّ (إذا) في الأصل تؤدّن ببداية الجملة، فلذلك كلّما وردت "حتى" وقد وليتها (إذا) عجلنا إلى إعرابها حرف ابتداء.

٢ — كثرت الشواهد التي وردت في ديوان ذي الرمة التي فيها (حتى إذا) إذا ما قيس بأي ديوان من دواوين الشعراء، وهذا ما يجب أن يثير الانتباه، ويدرس دراسة متأنية.

٣ — يمكننا تصنيف الشواهد هذه في صنفين اثنين:

أ — ما ورد في بداية البيت، وهو الغالب.

ب — ما ورد في خلال البيت، وهو أقل.

ويلاحظ أنه إذا وليها الاسم والفعل على السواء، وثمة ملاحظتان جديرتان بالاهتمام في هذا الجانب...

الأولى — أنّ جواب "إذا" بعد "حتى" موجود ولم يرد مقدراً، بل لا يجوز أن يأتي مقدراً، لأنّ "حتى" حرف ابتداء على عكس "إذا" التي يحذف جوابها، وتكون مع ما بعدها جملة حالية.

الثانية — إن بعض الشواهد ورد جواب "إذا" في البيت التالي الذي سنثبتته لتمام المعنى أو بعد بيتين.

وسنورد هذه الأبيات بحسب ورودها في الديوان، مع شرح بعض المفردات لصعوبتها.

أولاً — في بداية البيت:

قال (٥٣/١):

٨ — حتى إذا مَعَمَّعَانِ الصَّيْفُ هَبَّ لَهُ بِأَجَّةٍ نَشَّ عَنْهَا الْمَاءُ وَالرُّطْبُ

معمعان الصيف: شدة الحر والتهابه — الأجة: التوهج.

وقال (٥٦/١):

٩ — حتى إذا اصْفَرَ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ كَرَبَتْ أَمْسَى وَقَدْ جَدَّ فِي حَوْبَائِهِ الْقَرَبُ

الحوباء: النفس.

وقال (٦٨/١):

١٠ — حتى إذا الْوَحْشُ فِي أَهْضَامٍ مَوْرَدَهَا تَغَيَّيْتُ رَابَهَا مِنْ خَيْفَةِ رِيْبُ

الأهضام: ما انخفض من الأرض واطمأن.

وقال (٧٠/١):

١١ — حتى إذا زَلَجَتْ عَنْ كُلِّ حَنْجَرَةٍ إِلَى الْغَلِيلِ لَمْ يَقْصَعْهُ نُغَبُ

النُغَب: جرع من الماء.

وقال (٧٩-٨٠/١):

١٢ — حتى إذا جَعَلَتْهُ بَيْنَ أَظْهَرِهَا مِنْ عُجْمَةِ الرَّمْلِ أَثْبَاجٌ لَهَا خَيْبُ

ضم الظلام على الوحشي شَمَلَتْهُ وَرَائِحُ مِنْ نَشَاصِ الدَّلُوِّ مَتَسَكِبُ

أثباج الرمل: أوساطه — الخيب: الطرائق — عجمة الرمل: ما تعقد منه وصعب — وشملتته: لباسه — ونشاص الدلو: ما تراكب من السحاب وارتفع.

وقال (٩٢/١):

١٣ — حتى إذا ما جَلَا عَنْ وَجْهِهِ فَلَقَّ هَادِيَهُ فِي أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ مُنْتَصِبُ

ولم يرد جواب "إذا" إلا بعد بيتين، وهو قوله (٩٥/١):

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

- ١٤ — غذا كأنَّ به جنًّا تذاعبه من كلِّ أقطاره يخشى ويرتقبُ والملاحظ أنَّ البيت التالي هو (٩٥/١):
- ١٥ — حتى إذا ما لها في الجدر واتَّخذتْ شمسُ النهار شعاعاً بينه طيبُ ولم يرد جواب "إذا" إلا بعد بيتين، قال (٩٧/١):
- ١٦ — هاجتْ له جوعُ زُرُقٍ مُخصَّرةٍ شواذبٌ لاحها التغريثُ والحنبُ يتكلم على الثور الذي كان يلهو في نبت الجدر، وقد اتخذت الشمس طرائق لها، فهاجت للثور كلابٌ جائعة. أضمرها الجوع، ولصقت رثتها بأجنابها. وقال (١٠٢/١) يتكلم، أو يكمل حديثه عن الكلاب:
- ١٧ — حتى إذا دومت في الأرض أدركه كبرٌ ولو شاء نجى نفسه الهربُ وقال (١٠٥/١) متابعاً عن الكلاب تقاتل الثور:
- ١٨ — حتى إذا أمكنته وهو منحرفٌ أو كاد يُمكنها العرقوب والذئبُ بلَّتْ به غير طيَّاشٍ ولا رَعشٍ إذْ جُلنَ في معركٍ يخشى به العطبُ ويتابع كلامه على هذه المعركة وقد أصيب الكلب بطعنة، والثور ولى نشيطاً فيقول (١٠٩/١):
- ١٩ — حتى إذا كُنَّ محجوزاً بنافذةٍ وزاهقاً، وكلا روقيه مُختَضِبُ جدلان قد أفرحت عن روعه الكُربُ ولى يهزّ انهمازاً وسَطَها زعلاً وقال (١٢٥/١):
- ٢٠ — حتى إذا الهَيْقُ أمسى شامَ أفرُخه وهُنَّ لا مؤيسٌ نأيا ولا كَثَبُ ثم يرد جواب (إذا) بعد بيتين، يقول (١٢٥/١):
- تبري له صعلَةٌ خرجاء خاضعةٍ فالخرقُ دون بنات البيض مُنتَهَبُ يتحدث عن الظليم الذي كان ينظر إلى ناحية فراخه، فلا هم بالقرب ولا بالبعيد، ثم يصف الظليم بصفاتٍ أخرى حتى يقول بيته التالي وقد عرضت له، والصعلة النعامة الصغيرة الرأس الدقيقة العُنُق..
- إن كل الأبيات السابقة هي من قصيدة واحدة، سنعلق عليها في نهاية الفقرة.
- وقال يتكلم على الكلب (٣٠٩/١-٣١٠):

٢١ - حتى إذا هاهى به وأسدا وانقضّ يعدو الرهقى واستأسدا
لابس أذنيه لما تعودا فاندفع الشاة وما تلددا
هاهى: ناداه صاحبه ودعاه - استأسدا: صار أسداً - لابس أذنيه: صرّ أذنيه بما تعود عليه -
ما تلدد: ما تلفت...

وتابع من القصيدة نفسها بعد بيت واحد فقط (٣١٠/١):

٢٢ - حتى إذا سامي العجاج أصعدا يحسب عثنون دخان مؤقدا
سامي العجاج: ما ارتفع منه - عثنون: أوائل.
٢٣ - وقال (٣٢٢/١): حتى إذا ما ابيض منه مفر
٢٤ - وقال - وقد تقدّم - (٤٤٢/١):

٢٥ - حتى إذا لم يجد وعداً ونجها مخافة الرمي حتى كلها هي
ظلت...

ثم تابع مباشرة (٤٤٤/١) يتحدث عن البعير:

٢٦ - حتى إذا حان من خضر قوادمه ذي جدتين كيف الطرف تغيم
خلى لها سرب أولاهها وهيجهها من خلفها لاحق الصقلين مهميم
ذو جدتين: ذو ناحيتين من الليل - وخلى: أي أن الفحل خلى للآتن طريق أولاهها - لاحق:
لاصق الخاصرتين، له همام بالصوت.

وقال من القصيدة نفسها (٤٥٠/١):

٢٧ - حتى إذا اختلطت بالماء أكرعها أهدى لها طامع بالصيّد محروم
وقال (١١٤٧/٢):

٢٨ - حتى إذا هزت البهوى ذوائبها في كل يوم يشهى البادي الحضرا
ثم جاء جواب إذا بعد بيتين، قال (١١٤٩/٢):

رووا لأحداهم بُزلاً مخيسّة قد هرمل الصيف عن أكتافها الوبرا
هرمل الصيف الوبر: أسقطه وقطّعه.
وقال (١٣٥٦/٢):

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

- ٢٩ — حتى إذا وجفت بهمي لوى لبن
وابيض بعد سواد الخضرة العود
والجواب بعد بيت تال له، وهو قوله (١٣٥٨/٢):
ظلت تخفق أحشائي على كبدي
كأنني من حذار البين مورود
وجفت بهمي: الريح — لبن: اسم موضع — مورود: محموم.
وقال (١٣٩٦/٢):
- ٣٠ — حتى إذا ما استقل النجم في غلس
وأحصد البقل أو ملو ومحصول
وبعد بيت تال جاء الجواب (١٣٦٨/٢):
راحت يفتحها ذو أزمّل وسقت
أزمل: صوت — الفرائش: الحديثات النتاج — قياديد: طوال الأعناق.
وقال (١٨٢٣/٣):
- ٣١ — حتى إذا الثجا مالت أواخره
بأكره قانص يسعى بطاوية
وأضاف بعده (١٨٢٣/٣):
- ٣٢ — حتى إذا قال قد نالت أوائلها
كرّ يهز سلاحاً ما يقومه
وأدركتّه جميعاً بالأظفافير
فَين بمطرقة يوماً على كير
- النتيجة:**

نستطيع أن نستنتج مما تقدّم:

أ — كثرت الشواهد في استعمال (حتى إذا)، حتى إنّ عدداً منها وقع في قصيدته الأولى، وهي المشهورة، ومطلعها:

ما بال عينيك منها الماء ينسكب
كأنه من كلى مزية سرب

وكانت نسبة الأبيات تصل إلى أكثر من ١٠%.

ب — إنّ ثمة قصداً أو سبباً كان لاستعمال هذا التركيب، يلحظ القارئ وإلا ما معنى تنويع الاستعمال أن يلي إذا الاسم، أو الفعل، أو (ما) الزائدة وكأنّ هناك إصراراً للاستعمال.

ج — يَشعر القارئ أنَّ في استعمال (حتى إذا) الذي كثر جوابه في البيت التالي حواراً أرادَه الشاعر.

د — تفاوت عددُ الأبيات الشواهد في الأجزاء، فقد كثرت في الجزء الأول فوصلت إلى (١٦) ستة عشر بيتاً، أما الجزء الثاني فقد كان فيه ثلاثة أبيات، والثالث فيه بيتان اثنان.

هـ — يصعب أن نستبدل بـ(حتى) حرفاً آخر من حروف الابتداء بل لكأنك تشعر أن في استعمالها في بداية الأبيات قوةً في الجملة، ومن ثمة التركيب الذي وردت فيه، وزاد من قوتها جواب الشرط الذي كان — غالباً — في بيت تال.

في خلال البيت:

أما ما ورد في خلال الأبيات فهو أقل مما تقدّم، لكن يبقى عدده كبيراً إذا قورن بغيره من الشعر، وسنقف على تلك الأبيات بحسب ورودها في الديوان مع التعليق على كل بيت، لإبراز دور (حتى إذا) ومن ثمة المعنى الذي أدّته.

قال (٤٨/١) يصف العيس:

٣٣ — تُصغي إذا شدّها بالكورِ جانحةً حتى إذا ما استوى في غرزها تتبُّ
فحتى، وإن كانت حرف ابتداء، فإنها تتصل بالمعنى السابق... وهذا ما يعيدها على الأصل فيها، وهو إلى أن.

وقال (١٢٩/١) يصف النعامة الصغيرة التي ورد ذكرها في البيت السابق:

٣٤ — كأنها دلو بئرٍ جدّ ماتحها حتى إذا ما رآها خانها الكربُ
وهي بمعنى إلى أن، وواضح هذا المعنى فالفاعل في رآها يعود على ماتح الدلو.
وقال (٥٤٠/١):

طوى شخصه حتى إذا ما تودّقتُ على هيلةٍ من كلٍّ أوب تهالها
رمى وهي أمثال الأسنة يُتقى بها صفٌ أخرى لم يُباحث قتالها
يتكلم على الصائد الذي دنت منه على هيلة (فرعة):

٣٦ — إذا الجازئاتُ القمرُ أصبحن لا يرى سيواهنَّ أضحى وهو بالقفرِ باجحُ
تتليّن أخرى الجزء حتى إذا انفضت بقاياها والمُسـتمـطراتُ الرّوائحُ
دعاهنَّ من تاجٍ فأزْمعن ورده أو الأصـبـهياتِ العيونُ السّوائحُ

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

فقد اضطر الشاعر إلى إكمال المعنى في البيت التالي مع الإشارة إلى أن البيت السابق له هو الذي يكمل المعنى...

فالشاعر يتحدث عن اللواتي اكتفين بالبقل عن الماء تتبّعن أخرى الجزء وتاج والأصبهيات موضعاً ماء...

وقال (١١٢١/٢) يتحدّث عن الطعن:

٣٧ — أَلْفَنَ اللوى حتى إذا البروق ارتمى به بارحٌ راحٍ من الصيفِ شامِسُ
أما جواب إذا فهو بعد بيت آخر يقول (١١٢٢/٢):

تَحْمَلُنَ من قاع القرينة بعد ما تصيِّفَنَ حتى ما عن العَدَ حابسُ
وقال (١١٥٦/٢) يتحدث عن حادي الأظعان:

٣٨ — يُعارِضُ الزُرُقَ حاديها وتعُدُّه حتى إذا زاعَ عن تلقائها اختصرا
وقال (١٦٨١/٣) في الإبل:

٣٩ — شَحَجْنَ السُرَى حتى إذا قال صُحْبتي وحلَّقَ أُرْدافُ النجومِ الغوائرُ
أما جواب إذا فكان في البيت الثالث (١٦٨٢/٣):

جَنَحْنَ على أجوازهن وهوموا سُحَيْراً على أعضادهنَّ الأياسرِ
وقال (١٧٠٣/٣) في قلو صيّن:

٤٠ — طوبناهما حتى إذا ما أنيختا مُناخاً هوى بني الكلى والكرامر
وقال (١٨٤٠/٣):

٤١ — قومٌ يُوارون عمّا في صدورهم حتى إذا استمكنوا كانوا هم الداءُ
إن أهم ما يلاحظ في الأبيات السابقة هو أن "حتى" ما زال فيها معنى الغاية، ولو كانت حرف ابتداء، ففي كل الأبيات نلاحظ أن المعنى لم يكن بداية، بل استمرار، وهذا ما حافظت عليه الأداة (حتى).

ثالثاً. حتى كأن:

تعرب "حتى" حرف ابتداء إذا وليها الحرف المشبّه بالفعل (كأن) سواءً أكان عاملاً أم مخففاً أم مكفوفاً عن العمل، لأن (كأن) تؤذن ببداية الجملة، وقد استعمل ذو الرمة الأدوات الثلاثة بعد (حتى) بتفاوت فكثر وبعدها العاملة، وقلّ في المكفوفة، وندر في المخففة.

آ - حتى كأن:

قال (٥٧٠/١) يتحدث عن الطعائن:

٤٢ - رَفَعْنِ عَلَيْهِ الرَّقْمَ حَتَّى كَأَنَّهُ سَحُوقٌ تَدْلَى مِنْ جَوَانِبِهَا الْبُسْرُ
الرقم: المتاع من الصوف أو الخز - والبسر: الأحمر.
وإذا حذفنا "حتى" لما تأثر المعنى، ولكن ورودها أكد المعنى أكثر، فكان استعماله مقصوداً.
وقال (٦٩٣/٢):

٤٣ - وحتى كأنَّ الأسْفَعَ الواضِحَ الْقَرَا مِنْ الْوَحْشِ مَوْلَى رَسْمِهَا وَنَسِيئِهَا
واستعمال (حتى) قبله واو، وهما - بالتأكيد - لا يجتمعان إلا إذا كانت حرف عطف أو هي
كذلك، فقد عطف على البيت السابق:
وَأَقْوَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّى كَأَنَّمَا
مَعَ كُلِّ شَيْخٍ أَلْوَةٌ لَا يُصَيَّبُهَا
وقال (٧٥٠/٢):

٤٤ - جَرَى الْمَاءُ مِنْ عَيْنِكَ حَتَّى كَأَنَّهُ فَرَائِدُ كَأَنَّهُمَا سَلُوكُ الْنَوَاطِمِ
وقال (٧٦٣/٢) عن الإبل:

٤٥ - مِنَ الْأَدْحَى وَالرَّمْلِ حَتَّى كَأَنَّهُمَا قِسِيٌّ بَرَايَا بَعْدَ خَلْقِ ضُبَارِمِ
وقال (٨٨١/٢) عن الحرباء التي مدَّت لتجلد:

٤٦ - لَطَى تَلْفَحَ الْحَرْبَاءَ حَتَّى كَأَنَّهُ كِتَابُ زَبُورٍ فِي مَهَارِيقِ مُعْجَمِ
والمهاريق: الصحف.

وقال (١٢٢٣/٢) يصف الحُمْرَ، فيشبهها لضمورها بالرَّمَحِ الْخَطِيِّ:

٤٨ - رَعَتْ فِي فَلَائِ الْأَرْضِ حَتَّى كَأَنَّهُمَا مِنْ الضُّمْرِ خَطِيٍّ مِنَ السُّمْرِ مُصْلَحِ
وقال (١٣٤٤/٢):

٤٩ - وَقَدْ مَالَتْ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَأَنَّهُمَا صَوَارٌ تَدْلَى مِنْ أَمِيلٍ مُقَابِلِ
وقال (١٣٦٦/٢):

٥٠ - حَتَّى كَأَنَّ رِيَاضَ الْقُفِّ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشِي عَبَقَرٍ تَجْلِيلٌ وَتَجِيدُ
فالشاعر لم يبدأ البيت بـ(حتى كأن)، بل هو استمرارٌ للبيت السابق.

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

- وقال (١٦٥٠/٣) يصف الإبل التي أصابها الحرّ الشديد فغارت أعينها إلى المناصف:
- ٥١ — رمتها نجومُ القِيظِ حتى كأنَّها
أوقِيَّ أعلى دُهنها بالمناصفِ
وقال (١٦٦٩/٣):
- ٥٢ — فما زِلْتُ أطوي النفسَ حتى كأنَّها
بذي الرِّمْتِ لم تخطرْ على بالِ ذاكرٍ
وقال (١٦٧٩/٣):
- ٥٣ — بركبٍ سَروا حتى كأنَّ اضطرابهم
على شُعَبِ الميسِ اضطرابُ الغدائرِ
يتصل هذا البيت بالبيت السابق، وتُعلّق شبه الجملة (بركب) بالفعل وردت في قوله:
- وَرَدْتُ وأغْبِشُ السَّوادَ كأنَّها
سماديرُ غشي في الصَّوانِ النواظرِ
وقال (١٧٣٥/٣) في الأتْن:
- ٥٤ — نَفْنُفَ الندى حتى كأنَّ ظهورَها
بمَسْتَرشِحِ البُهمى ظهورَ المَدَاوِكِ
وقال (١٧٣٨/٣) من القصيدة نفسها:
- ٥٥ — سعى وارتضخنَ المَرَوَ حتى كأنَّه
ارتضخن: دَقَقْنَ، أي يتكسرن كما ينكسر قيض النعام أي قشره.
ومما خالف الاستعمال قوله (١٨١٣/٣) في الأرام:
- ٥٦ — بَحَثْنَ جوانِبَ الأرطاةِ حتى
كَأَنَّ عِرْفَهَا شُعَبُ الوريدِ
فقد وردت "حتى" في نهاية الشطر الأول، و"كأنَّ" في بداية الشطر الثاني.

ملاحظة:

إن ما يلاحظ في الأبيات السابقة جدير بالاهتمام، وهو أن الشاعر استعمل (حتى كأنَّ) استعمالاً يكاد يكون وحيداً في معظم الأبيات، فقد ورد التركيب "حتى كأنَّ" في نهاية الشطر الأول، ولكأنَّ ثمة سبباً أو عمداً في الاستعمال هذا، وهذا ما ظهر في البيت الأخير، وأما ما خالف الاستعمال فكان ثلاثة أبيات كان لها أبيات سابقة لها.

ثالثاً. ب: حتى كأن مخففة:

- لم يرد تركيب كأن المخففة بعد حتى إلا في بيتين متتاليين، قال (١٢٢٩/٢):
- ٥٧ — لقد كنتُ أخفي حُبَّ ميٍّ وذكرُها
رسيْسُ الهوى حتى كأن لا أريدها

٥٨ — كما كنت أطوي النفس عن أم خالدٍ وجاراتها حتى كأن لا أهيدها ولا يختلف الكلام عليها عن الكلام على "حتى كأن" العاملة، لكن الملاحظ ورودها في آخر البيت غالباً في ذلك الترتيب الذي ساقه في الأبيات السابقة.

ثالثاً. ج: حتى كأنما:

لا تختلف (كأنما) المكفوفة عن العمل عن (كأن) العاملة في الاستعمال فهما يدلان على بداية الجملة، وربما أديا المعنى نفسه، علماً بأن الوزن لن يخل سواء استعمل كأنه، وكأنها من جهة، وكأنما من جهة ثانية، فهل كان ثمة سبب لاستعمال (كأنما)، يبدو لنا هذا من خلال عرض الأبيات التي وردت في الديوان.

قال (٢١٣/١) يتحدث عن الناقة والفحل:

٥٩ — إذا ما دعاها أوزغت بكراتها
عصارة جزء آل حتى كأنما
كإيزاغ آثار المدى في الترائب
يلقن بجادي ظهور العراقب
فهو يتحدث عن الناقة التي دعاها الفحل واجتزأت بالرطب عن شرب الماء، حتى خثر البول — يلقن: يدلكن — الجادي: الزعفران.

وقال (٥٧٥/١) يتحدث عن الأرض:

٦٠ — تطيب بها الأرواح حتى كأنما
فالرياح طابت في هذه حتى إنها العطر يجري في الدجا... ويلاحظ أن استعمال "حتى" كأنما ليس منقطعاً عن كلام سابق، ويؤيد هذا أكثر قوله (١٣٣٥/٢) يدعوه الشوق:

٦١ — لها الشوق بعد الشحط حتى كأنما
الأفاكل: جمع الأفكل وهو الرعدة.

قال (٦٩٢/٢) يتحدث عن ديار مي:

٦٢ — وأقوت من الأناس حتى كأنما
الألوة: القسم واليمين، فالديار قد أقفرت من الناس، حتى إن الناس أقسموا بأن لا يقربوها... وواضح في استعمال "حتى" الاستمرار في المعنى، وتقدم قبل قليل أن استعمال (كأن) عاملة، أو مكفوفة لن يؤثر في المعنى، ويتضح هذا في البيت التالي الذي يعطف فيه على البيت هذا، يقول:

٦٣ — وحتى كأن الأسفع الواضح القرا
من الوحش مولى رسمها ونسيبها

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

وقال (٧٤٩/٢) يشبه الريح وما تجره بأعناق الجمال وقد انتشر وبرها:

٦٤ — حدثها زُبَانِي الصيفِ حتى كأنما تمدُّ بأعناق الجمال الهوارم

وقال (١١٤١/٢) يصف الأودية التي تعالى بها النبت فصار الزهر كالمصاييح:

٦٥ — تعالى بها الحوزان حتى كأنما به أشعلتُ فيها الذُّبَالُ القوابسُ

وقال (١٤١٢/٣):

٦٦ — أرشَّتْ بها عيناك حتى كأنما تحلانِ من سفحِ الدُّموعِ بها نذرا

بكتِ الدموع بالدمن.

وقال (١٤٦٠/٣) عن الثور الذي يعتمد الكناس يحفره بالأظلاف:

٦٧ — توفّاه بالأظلاف حتى كأنما يُثِيرُ الكُبَابَ الجَعْدَ عن متنٍ محمّلٍ

والكباب: الثرى الذي تكبَّبَ ولزم بعض بعضاً.

وقال (١٤٨٦/٣):

٦٨ — كأنَ على أنسائهنَّ مزيقةً إذا ارتعنَ من ترجيعِ آدمَ سَحْبِلٍ

بأصفر ورْدٍ آل حتى كأنما يَسْعَفُ به البالي عصارةَ خَرْدَلٍ

يصف الإبل عند خوفها من الفحل الضخم، وكيف تخثر البول على عروقها ويشمها الفحل...

وقال (١٧٢٢/٣)

٦٩ — تهلّلنَ واستأنسنَ حتى كأنما تهلّل أبكارُ الغمامِ الضواحكِ

وقال (١٧٢٩/٣):

٧٠ — إذا وقّعوا وهنّا كسوا حيثُ موّتتُ من الجهدِ أنفاسُ الرّياحِ الحواشكِ

خودداً جنت في السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك

المعزاء: الأرض الغليظة ذات الحصى.

يشبه القوم الذي إذا ألقى نفسه في مكان كان كسَاءً له، أو أنهم لما نزلوا المكان صيروه كسوةً

للخودد، وخودداً مفعول به للفعل كسوا.

نستنتج من قراءة الأبيات السابقة ثلاث ملاحظات، تتصل الواحدة بالأخرى.

أ — لم يختلف استعمال (كأنما) المكفوفة عن العمل عن استعمال كأنها — كأن... العاملة من حيث المعنى، فهما أدبا المعنى الذي أراده الشاعر.

ب — ورد في الأبيات كلها — بلا استثناء — "حتى كأنما" في نهاية الشطر الأول، ولهذا دلالة واضحة على أمر ما في تركيب البيت الشعري عند ذي الرمة، ولا أظنه جاء عفواً، إنما جاء مقصوداً لذاته كما وقع في (حتى كأنه — كأنها).

وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الاستعمالين بمعنى واحد، لا يبتعد عن التشبيه الذي يدل عليه الحرف.

ج — إن كل الشواهد السابقة لم تقع فيه (حتى كأنما) في بيت مستقل، إنما كان البيت استمراراً، أو تنمة للبيت السابق ووضح هذا في الضمير الذي كان يعود على البيت السابق، أو التنمة التي كانت معمولاً لعامل في البيت السابق، وهذا جدير بالملاحظة أيضاً.

رابعاً: حتى وليها المضارع

١ — يُنصب الفعل المضارع بـ(أن) مضمرة بعد حتى، شريطة أن يكون الفعل دالاً على الاستقبال، ويجوز رفعه إذا كان دالاً على الحال.

٢ — اختلف في الناصب للمضارع، أهي (حتى) نفسها، أمام (أن) المضمرة فيها، لكن الواضح هو (أن) المضمرة، لأن في "حتى" معنى (إلى أن) تنصب المضارع بأن، ويُجر المصدر المؤول بإلى — وليس هنا موضع الخلاف، لأن لا حل واضحاً، ولا رأي صريحاً في هذا.

٣ — قلت بل ندرت الشواهد التي ورد فيها المضارع مرفوعاً بعد حتى، لأن من استعمل هذه الأداة قصد ورمى إلى أن تكون الناصبة للمضارع، وهذا واضح في شعر ذي الرمة على ما سنقرأ بعد من الأشعار كما وردت في الديوان مرتبة.

قال في كناس (٨٦/١) نزل عليه المطر (الغبية):

٧١ — إذا استهلّت عليه غبيةً أرجتُ
مرايض العين حتى يأرج الخشبُ
وقال (١٣١/١):

٧٢ — خليلي مدّاً الطرف حتى تنيّنا
أظعن بعلياء الصفا أم نخيلها
وقال (١٧٧/١) يتحدث عن الخيل في أبيات سابقة حتى يقول:

٧٤ — حتى يصرن كأمثال القنا ذبلتُ
منها طرائق على لدنات أود
أي صارت هذه الخيل ضامرة ذبلت منها طرائق ذات عوج.

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

وقال (١٨٧/١):

٧٥ — خليلي عوجا اليومَ حتى تُسلِّما
على دار ميٍّ من صدور الركائبِ

وقال (٣١٦/١):

٧٦ — حتى ترى أعجازه تقوّرُ
ويسـتطير مُستطيرٌ أشقرُ

يتكلّم على الفجر الذي بدت أواخره تذهب، والضمير في أعجازه يعود على الفجر.

وقال (٣٢١/١) من القصيدة نفسها يتحدث عن الإبل:

٧٧ — جاذبنَ حتى يستظلّ الأعفرُ
مجدولةً فيها النحاسُ الأصفرُ

وقال (٦٥٩/٢):

٧٨ — فلو سرتَ حتى تقطعَ الأرضَ لم تجذُ
فتىً كابن أشياخ البريّة مالِكِ

وقال (٧٥٨/٢):

٧٩ — يقاربنَ حتى يطمعَ التابعُ الصِّبا
حديثاً قطعَ الشهد حلواً صدوره

أي يقاربن حديثاً، والحوائم: العطاش — والخطبان: الحنظل.

وقال (٨٤٨/٢):

٨٠ — ركبْتُ به عوصاء ذاتَ كريهةٍ
وزراءَ حتى يعرفَ الضيمَ جانبُه

وقال (٨٤٩/٢) يتحدث عن الذئب التي تعوي:

٨١ — إلى كلِّ ديارٍ تعرفنَ شخصه
من القفر حتى تقشعرَّ ذوائبُه

وقال (٩٦٠/٢) يصف الإبل ويصور حالها، ودأبها:

٨٢ — مُدبَّبةُ الأيامِ واصلهُ بها
لياليها حتى ترى وضَحَ الفجرِ

وقال (٩٨١/٢):

٨٣ — يا حاديي بنتِ فضاصٍ أما لكما
حتى نكلّهما همٌّ بتعريحِ

وقال (١٠٣٣/٢):

٨٤ — إذا ما وطئنا وطأةً في غروها
تجافينَ حتى تستقلّ الكراكرُ

يقول: إن هذه الإبل إذا بركت تتجافى للركوب لا تلتزق، وقال (١١٤٦/٢):

٨٥ — غراء أنسة تبدو بمعلقة إلى سويقة حتى تحضر الحفرا تبدو بمعلقة: حين يفسخ الحر — سويقة: اسم موضع.
إنَّ ما تقدّم من شواهد بأن فيها أن "حتى" حرف ناصب نصب المضارع بأن مضمرة لا لبس فيها.

تتمة

١ — المعروف أن "حتى" الناصبة لا يفصل بينها وبين الفعل المضارع فاصل.
٢ — المعروف أن (ما) النافية و(لم) ممّا يدلان على بداية الجملة، فإذا ما ولي (حتى) أحد هذين الحرفين كانت حرف ابتداء، ولم ينصب المضارع، وما ورد من هذا ثلاثة أبيات هي:
قال (١٢٣٠/٢):

٨٦ — فما زال يغلو حبّ مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها
وقال (١٧٠١/٢):

٨٧ — وبالسير حتى ما تحنّان حنة إلى قارب آتٍ ولا إثر صادر
وقال (١٨٢٦/٢):

٨٨ — لمن طلل عافٍ يوهيّن راوحت به الهوج حتى ما تبين دواثره
خامساً: حتى وليها الماضي

١ — الجمهور على أن (حتى) ابتداء إذا وليها الفعل الماضي، لكن ابن مالك زعم أنها بمعنى (إلى أن) فتكون مؤلفة من حرف جر، والحرف المصدر، فأعربت حرف غاية وجر.
٢ — إن ورود عدد من الشواهد الشعرية سبق الماضي فيها (إلى أن) يؤيد ما ذهب إليه ابن مالك، ويريد هذا أكثر أن كثيراً من الشواهد كانت (حتى) بمعنى إلى أن.
٣ — وإذا كان ذو الرمة قد أكثر من استعمال "حتى" فيما تقدّم، فإنه أكثر من استعمال حتى وقد وليها الفعل الماضي، فقد وصلت إلى (٧٠) بيتاً نعرض لها بحسب ورودها في الديوان مع التعليق المناسب.

قال في الثور (٧٥/١):

تقيّط الرمل حتى هزّ خلفته تروّح البرد ما في عيشه رتب
وبعده (٧٦/١):

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

- ٩٠ — ربلاً وأرطى نفت عنه ذوائبه
كواكب الحرّ حتى ماتت الشهبُ
الرّبل، والأرطى: نبت.
وقال (١٤١/١):
- ٩١ — بكيتُ على ميّ بها إذا عرفتُها
وهجمتُ البكا حتى بكى القوم من أجلي
ويتضح هنا أن "حتى" بمعنى (إلى أن) ... ومثله ما قاله (١٥٩/١):
- ٩٢ — رأيتُ كلابَ الحيّ حتى عرفنني
ومدّت نسوج العنكبوتِ على رحلي
وقال (١٦٤/١)، عن الطعن:
- ٩٣ — فما لحقتُ بالحيّ حتى تكمشتُ
مراحاً، وحتى طار عنها شليها
تكمشت: أسرع — والشليل: المسح الذي يكون على عجز البعير.
وقال بعد بيت (١٦٥/١):
- ٩٤ — وحتى كستُ مثني الخشاش لُغامها
إلى حيث يثني الخدّ منها جديها
الجديل: الزمام.
وقال (١٨٤/١):
- ٩٥ — جننا بأثارهم أسرى مُقرّنة
حتى دَفَعْنَا إليهم رُمّةَ القودِ
وقال (٢٠٠/١):
- ٩٦ — حشوتُ الغلاصَ الليلَ حتى ورَدَنه
بنا قبل أن تخفى صغارُ الكواكبِ
وقال (٢٢٣/١):
- ٩٧ — فما زال عن نفسي هُلاغٌ مُراجعٌ
من الشوق حتى كاد يبدو ضميرها
واستعمال حتى كاد من النادر عنده وعند غيره.
وقال (٢٢٨/١):
- ٩٨ — فما أياستني النفسُ حتى رأيتها
احزألت حذورها: استقلت الهودج.
وقال (٢٤١/١) يتحدث عن نفسه وأصحابه يركبون على حمر طوال، قال:
- ٩٩ — على عانةٍ حُقبِ سَما حيجَ عارضتُ
رياح الصبّا حتى طوتها حرورها

- وقال (٢٤٥/١) يصف الحمار الذي ما زال يراقب غروب الشمس:
 ١٠٠ — فما زال فوق الأكوم الفرد رابئاً يُراقبُ حتى فارق الأرض نورها
 وقال (٢٤٠/١) بعد بيت:
 ١٠١ — فما أفجرتُ حتى أهبَّ بسُحرةٍ علاجيمَ عينِ ابني صباحِ نثيرها
 أفجرت: صارت في الفجر — العلا جيم: الضفادع.
 وقال (٢٧٤/١) يصف حماراً في بيت سابق.
 ١٠٢ — ضَبَّاضِبٍ مُطَّرِدٍ مرسالٍ ما اهتجت حتى زلنَ لاحتمالِ
 الضبابضب: الضخم.
 وقال (٢٩٧/١) يصف فحلاً:
 ١٠٣ — ما مُسَّ حتى زاف دهماً أصيلاً وأردفَ الناب السَّديسَ فبدا
 وقال (٣٣٩/١) في فتية:
 ١٠٤ — ذا قُحمٍ وليس بالتهويدِ حتى استحلُّوا قِسمةَ السُّجودِ
 وقال (٤٣٤/١) في الندى الذي جاد به الربيع:
 ١٠٥ — حتى كسا كلَّ مُرتادٍ له فضيلٌ مستَحلسٌ مثلُ عُرضِ الليلِ يحموم
 المستحلس: الملبس التراكب — اليحموم: الأسود الريان.
 وقال (٤٣٦-٤٣٧/١) بعد بيت، يتكلم على الحمار:
 ١٠٦ — ما أنستُ عينه عيناً يفزعه مذ جاده المكفهراتُ اللهاميم
 حتى انجلى البرد عنه وهو محتقر عرضَ اللوى زلقُ المتئينِ مدموم
 اللهاميم: الغزارُ — مدموم: كأنه طلي باللحم والشحم.
 وقال (٤٤٧/١):
 ١٠٧ — فما انجلى الليلُ حتى بينتُ غللاً بين الأشياء تغشاه العلاجيمُ
 وقال (٥٦١-٥٦٢/١) في ديار "مي" بعد بيتين منهما مطلع القصيدة المشهور:
 ألا يا سلمى يا دار ميَّ على البلى فما زال منهالاً بجَرِّ عائك القطرُ
 قال:

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

- ١٠٨ — أقامت بها حتى ذوى العُودُ والتوى وساق الثريا في ملاءته الفجر
- ١٠٩ — وحتى اعتري البُهمى من الصيفِ نافضُ كما نفَضَتْ خيلٌ نواصِيها شُقرُ
- ويلاحظ هنا بوضوح أن حتى بمعنى (إلى أن) في البيتين، وأكثر دلالة على هذا المعنى قوله التالي (٥٧٠/١):
- ١١٠ — فما زلت أدعو الله في الدار طامعاً بخفض النوى حتى تَضَمَّنْها الخدرُ
- وقال في الطريق الذي ركبهُ على غير هداية (٥٨٢/١)
- ١١١ — تعسَّفتُهُ بالركبِ حتى تكشَّفت عن الصُّهْبِ والفتيانِ أرواقه الخضرُ
- أرواقه: أعاليه.
- وقال (٥٨٣/١) بعد بيت في الإبل:
- ١١٢ — تروَحْنُ فاعصِوَصِبْنُ حتى وَرَدْنَه ولم يلفظِ الغرثى الخداريةَ الوَكْرُ
- اعصوَصِبْن: اجتمعن — الغرثى: الجائعة — الخدارية: العقاب في سوادها.
- وقال (٦٣٥/٢):
- ١١٣ — سمونا له حتى صَبَحْنَا رجاله صدورَ القنا فوق العناجيجِ تَخْطُرُ
- العناجيج: الخيل الطوال الأعناق.
- وقال (٧١٨/٢) في مطلع قصيدة:
- ١١٤ — أَمِنْ دِمْنَةٍ بَيْنَ القَلاتِ وشارِع تصايَّبتُ حتى ظَلَّتِ العينُ تَدْمَعُ
- القلات وشارع: موضعان.
- وقال (٧٥٧/٢):
- ١١٥ — وريح الخزامى رشها الطلُّ بعد ما دنا الليل حتى مسَّها بالقوادم
- وقال (٨٠٦/٢) وقبله أبيات كثيرة يتحدث فيها عن الحمير:
- ١١٦ — فَخَضَخَضْنَ برد الماء حتى تصوَّبَتْ على الهول في الجاري شطُورُ المذارع
- أي دخلن إلى أنصاف أسوقهن.
- وقال (٨١٧/٢) من القصيدة نفسها:
- ١١٧ — وحسَّرتُ عنها التي حتى تركها على حال إحدى المُنْضياتِ الضَّوارع

أي أنه أذاب عنها الشحم.

وقال (٨٢١/٢):

١١٨ — وقفتُ على ربعٍ لميَّةٍ ناقتي فما زلتَ أبكي عنده وأخاطبُه
وأسقيه حتى كاد مما أشبّه تكلمني أحجارُه وملاعبُه
إنَّ في هذين البيتين دلالة واضحة على اعتبار "حتى" بمعنى (إلى أن)، فالشاعر ظلَّ واقفاً على
الربع مع ناقتة، وظل يسقيه إلى أن قاربت أحجاره تكلمه ممَّا كان يبيته. وزاد في جمال الصورة
استعمال المقاربة في الفعل (كاد).

وقال (٨٢٨-٨٢٩/٢) يتحدث عن الطعائن:

١١٩ — تعرَّجَن بالصَّمَّانِ حتى تعرَّضت عليهنَّ أرتاغ اللَّوى ومشاربه
١٢٠ — وحتى رأيتُ القنْع من فاقئ السَّفى قد انتسجتُ قُرْيَانُهُ ومذانبُه
١٢١ — وحتى سرَّرتُ بعد الكرى في لويّه أساريغُ معروفٍ وصرَّرتُ جنادبُه
الصَّمان واللوى: موضعان — القنْع: مكان وسطه مطمئن — السَّفى: نبتٌ — القرِيان: مجاري الماء.
إنَّ قراءة الأبيات الثلاثة السابقة تدلُّ على أنَّ "حتى" حرف غاية وجر بمعنى (إلى أن) لأنه عطف
عليها، فلو كانت حرف ابتداء لما عطف عليه، إذ لا يجوز أن تجمع بين الواو والواو أو بين الواو
والفاء... ويبدو في هذه الأبيات إصرار الشاعر على استعمال (حتى). ومثله ما قاله (٩٢٨-٩٢٩/٢):

١٢٢ — رعتُ واحفاً فالجزعَ حتى تكملتُ جمادى، وحتى طار عنها نسيُّها
١٢٣ — أبتُ بعدَ هيْج الأرضِ إلا تعلُّقاً بعهد الثرى حتى طواها ذبولُها
فثمَّة إصرار على استعمال (حتى) أربع مرات متتالية عطف عليها بالواو.

الواحف والجزع: موضعان — الامتاء: معرفة الحمل أولاً.

وقال (٨٥٣/٢) عن بيت العنكبوت:

١٢٥ — بمعقودةٍ في نسعٍ رحلٍ تقطَّطت إلى الماء حتى انقَد عنها طحالُبه
وقال (٨٨٤/٢):

١٢٦ — نهَزَن العنِيقَ الرِّسْلَ حتى أملَّها عِراضُ الثَّاني والوجيفُ المُرَّاح
العنِيق: السير — الرِّسْل: اللين — الوجيف: ضربٌ من السير عالٍ.
وقال (٩١٠/٢):

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

- ١٢٧ - وفي الجيرة الغادين حُورٌ تَهَيَّمَتْ
قلوبَ الصّبا حتى استخفّت عقولُها
وواضح أنّ (حتى) بمعنى (إلى أن).
وقال (٣٩١/٢):
- ١٢٨ - إذا انجابَ أظلالُ السُّرى عن قلوبه
وقد خاضَها حتى تجلّى ثقلُها
وقال (٣٩١/٢) يصف فحلاً:
- ١٢٩ - يصكُّ كمقلاء الفتى ذات نفسه
عن الورْدِ حتى ائْتَجَّ فيها غليلُها
وقال (١٠٠٧/٢):
- ١٣٠ - أُقيم السرى فوق المطايا لفتيةٍ
إذا اضطربوا حتى تجلّى قتامُها
وقال (١٠٢٠/٢) في الطعائن:
- ١٣١ - تصيّن حتى أصفرَ أقواعُ مطرق
وهاجت لأعداد الميَاه الأبعادُ
الأقواع: الأرض المستوية ذات الطين الحر - مطرق: اسم موضع - الأعداد: جمع العدّ، وهو الماء.
وقال (١٠٩٣/٢):
- ١٣٢ - أقامت به خرّقاء حتى تعذّرت
من الصيفِ أحباسُ اللّوى فالغراقد
الغراقد: الشجر.
وقال (١١١٠/٢):
- ١٣٣ - أخو شُقّة جاب الفلاة بنفسه
على الهول حتى لوحتَه المطاودُ
الشُقّة: السفر البعيد - المطاود: المذهب والمطاوح.
وقال (١١٥٤/٢):
- ١٣٤ - ما زلتُ أطرُدُ في آثارهم بصري
والشوقُ يقتادُ من ذي الحاجة النّظرا
حتى أتى فلّك الخلّاء دونهم
واعتمَ قُورُ الصّمى بالآلِ واختدرا
الفلك: ما يشبه الجبل وليس بجبل - القُورُ: الجبال الصغار. وفي البيتين تأكيد على معنى حتى (إلى أن).
ومثله قوله (١١٦٣/٢):

- ١٣٥ - ما زالت في درجات الأمر مرتقباً
حتى بهرت مما تخفى على أحد
وقال (١١٥٧/٢):
- ١٣٦ - إذا يُعارضه وعث أقام له
حتى وردن عذاب الماء ذات بُرق
بُرق: حجارة ورمل - العد: الذي لا ينقطع ماؤه - الأحرام: القطيع من الناس - العكر: الإبل من العشرين إلى الثلاثين إلى الأربعين.
وقال (١١٥٩/٢):
- ١٣٧ - راحت من الخرج تهجيراً فما وقعت
اتقأى: انشق - الفأو: المكان.
وقال (١١٩١/٢):
- ١٣٨ - ولا زال من نوء السماء عليهما
وإن كنتما قد هجتما راجع الهوى
١٣٩ - وقال (١٢٢٤/٢) تقدّم ذكره.
وقال (١٢٢٨/٢) يتحدث عن الأطلال التي أفقرت:
- ١٤٠ - وأملى عليها الفقر حتى تربعت
الخنس: البقر.
وقال (١٢٤٧/٢) متكلماً على نفسه:
- ١٤١ - أطاع الهوى حتى رمته بحبله
وقال (١٣٠٢/٢) عن الديار:
- ١٤٢ - رجعت إلى عرفانها بعد نبوة
هذا الشاهد لا يجوز فيه إعراب "حتى" إلا حرف غاية وجر وليكون الجار والمجرور متعلقين بخبر (ما زال).
وقال (١٣٠٤/٢):

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

- ١٤٣ — فأبصرتهم حتى رأيتُ قِيَانَهُم
هَاتَكْنَ السَّتُورَ وانتزعنَ الأواخيا
الأواخي: الحبال، تربط به الدواب.
وقال (١٣٦٥/٢):
- ١٤٤ — تربعتُ جانبي رَهْبِي فَمَعْقَلَةٍ
حتى تَرَقَّصَ في الآل القراديد
فهو تربّع هذين المكانين — القراديد: الطرق المرتفعة المُنْقَادَة.
وقال (٢٤-١٥٤/٣):
- ١٤٥ — فبت أروضَ صَعْبَ الهَمِّ حَتَّى
أجلتُ جميعَ مرَّتِه مَجَالَا
وقال (١٥٢٩/٣):
- ١٤٦ — فلم نهبطُ على سفوان حَتَّى
وضعنَ يخالهنَّ وصِرنَ آلا
سفوان: اسم ماء
وقال (١٦١٣/٣):
- ١٤٧ — أقامت بها حتى تصوّحَ باللوى
لوى معقلاتٍ في منابتِه البقلُ
تصوّح: تشقّق منابت اللوى والبقل.
وقال (١٦٢٤/٣):
- ١٤٨ — تصايبت واستعبرت حتى تناولت
لحى القوم أطرافَ الدُمُوعِ الذَّوارِفِ
وقال (١٦٢٩/٣) يصف أرضاً:
- ١٤٩ — دهاسٍ سقتها الدَّلُوعُ حتى تنطقتُ
بنورِ الخُزامى في التَّلَاعِ الجوائِفِ
وقال (١٦٥١/٣):
- ١٥٠ — وصلنا بها الأخماسَ حتى تبدلتُ
من الجهلِ أحلاماً ذواتُ العَجَارِفِ
الجهل هنا النشاط.
وقال (١٦٥٩/٣) عن ناقته التي أتعبها حتى هزلت فصارت كأنها مُحَرَّثَة:
- ١٥١ — وأرمى بها الأهوالَ حتى أخلتها
وسوَّيتها بالمُحرثاتِ الحُدَايرِ
وقال (١٧٠٥/٣) يتحدث عن الثور الذي يقصّه الصائد:
- ١٥٢ — فظلَّ بعيني قانصٍ كان قصّه
من المُغتدى حتى رأى غيرَ ذاعرٍ

وقال (١٧٠٨/٣) من القصيدة نفسها في الثور:

١٥٣ — فأعْنقُ حتى اعْتامَ أرطاةَ رملةٍ مُحَفَّفَةً بالحاجراتِ السَّواترِ
أَعْتام: اختار تلك الشجرة لتستره عن المطر والبرد.
وقال (١٧١٦/٣):

١٥٤ — وما خِفْتُ بينَ الحيِّ حتى تصدَّعتْ
الشكائك: الفرق. وقال (١٧٣٤/٣):

١٥٥ — صَفَعْنَا بها الحزَّانَ حتى تواضَعَتْ
وقال (١٨٩٦/٣):

١٥٦ — وما نَلْتُ حتى شَبَّتْ إلَّا لَطِيَّةً
وقال (١٩٠٣/٣) وهو بيت مفرد:

١٥٧ — وقضت بها حتى قال صَحْبِي
جزَعْتُ وليس ذلك بالنَّوالِ

الخلاصة والنتائج:

وبعد، فإني أستطيع أن أستنتج بعض الملاحظات والنتائج والأحكام، وأهمها:

- ١ — كثرت الأبيات الشعرية التي وردت عند ذي الرمة فيها "حتى" قياساً إلى غيره من الشعراء. وهذا يعدّ مادة علمية للشواهد في (حتى) يمكن الاستفادة منها إذا أردنا إغناء كتبنا بها.
- ٢ — تفاوتت كمية الأبيات بين نوع وآخر، فلم ترد حرف عطف، ولا حرف جرّ اسماً.
- ٣ — نوع ذو الرمة في تركيب الأداة مع ما بعدها حتى إنه تقيّد في معظم ما قال.
- أ — ففي الجملة الاسمية أكّدت الأداة المعنى الذي وردت فيه.
- ب — كثر ورود (حتى) إذا في بداية الأبيات، وقلت في ثنائها، وكان جواب إذا غالباً — في البيت التالي، وكان لاستعماله للحرف (حتى) في بداية الأبيات قوّة وتأثير قوي في المعنى، ولم نستطع أن نستبدل بها حرفاً آخر.

*** التراث العربي *** د. شوقي المعري ***

ج — وردت حتى كأنَّ في نهاية الأَسطر الأولى، وكذلك الحال ورود كأنَّ مكفوفة حتى ليلَظ الإنسان أنْ هناك سبباً أو هدفاً قصده أو رمى إليه ذو الرمة كما يلاحظ أن هذا البيت كان تالياً لبيت سابق.

د — أكثر ذو الرمة من استعمال (حتى) وقد وليها الفعل الماضي، ووضح أن معنى (حتى) بمعنى (إلى أن) في كثير من الأبيات.

هـ — إنَّ ذا الرمة كغيره من الشعراء يكثر استعمال أسلوب أكثر من غيره، أو أداة، أو تركيب، أو جملة، وهذا طبيعي منطقي لأنَّ كلاً منا اعتاد لفظ بعض الكلمات في كل حديث، وكذا الأدباء والشعراء، لكن هذا الاستعمال كان له أثر في تركيب البيت الشعري عنده، وإلا ما كانت هذه الكثرة من الشواهد التي فرضت هذه الدراسة التي أرجو أن تكون قدمت فائدة علمية.

KKK